

أضواء البيان

@ 58 أُنطَقَ قَدَا اللّٰهُ الّذِي أُنطَقَ كُلُّ شَيْءٍ { ، وتقدم تفصيل ذلك عند أول سورة الحشر ، لأن [أودع في الجمادات القدرة على الإدراك والنطق ، والمراد بإخبارها أنها تخبر عن أعمال كل إنسان عليها في حال حياته . . .

ومما يشهد لهذا المعنى حديث المؤذن (لا يسمع صوته حجر ولا مدر إلا وشهد له يوم القيامة) ، وذكر ابن جرير وجهاً آخر ، وهو أن إخبارها هو ما أخرجته من أثقالها بوحى [لها والأول أظهر لأنه يثبت معنى جديداً . ويشهد له الحديث الصحيح . { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } في هاتين الآيتين مبحثان أحدهما في معنى من لعمومه ، والآخر في صيغة يعمل . . .

أما الأول فهو مطروق في جميع كتب التفسير على حد قولهم : من للعموم المسلم والكافر ، مع أن الكافر لا يرى من عمل الخير شيئاً ، لقوله تعالى : { وَقَدْ مَنَّآ عَلَى مَنَّا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا } ، وفي حق المسلم ، قد لا يرى كل ما عمل من شر ، لقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } . . .

وقد بحث الشيخ رحمة [تعالى علينا وعليه هذه المسألة بتوسع في دفع إيهام الاضطراب بما يغني عن إيراده . . .

أما المبحث الثاني فلم أر من تناوله بالبحث ، وهو في صيغة يعمل ، لأنها صيغة مضارع ، وهي للحال والاستقبال . . .

والمقام في هذا السياق { يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا } ، وهو يوم البعث ، وليس هناك مجال للعمل ، وكان مقتضى السياق أن يقال : فمن عمل مثقال ذرة خيراً يره . ولكن الصيغة هنا صيغة مضارع ، والمقام ليس مقام عمل ، ولكن في السياق ما يدل على أن المراد يعمل مثقال ذرة أي من الصنفين ما كان من ذلك ، لقوله تعالى { يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ } ، فهم إنما يروا في ذلك اليوم أعمالهم التي عملوها من قبل ، فتكون صيغة المضارع هنا من باب الالتفات ، حيث كان السياق أولاً من أول